هيَّاج بن عُبيد[١]

ابن الحسين بن محمد، الحِطِّيني، وحطِّين: قرية غربي طبرية، ويقال: إن قبر شعيب عليه السلام بها، وبنْتِه صفورا زوجة موسى عليه السلام.

سمع هيَّاج الحديث وتفقَّه، وجاور بمكة، وصار فقيهَ الحرم ومفتيَ أهل مكة، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، مجتهداً في العبادة، يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويأكل في كلِّ ثلاثة أيام مرة، ويعتمر في كلِّ يوم ثلاث مرات على قدميه، وأقام بالحرم أربعين سنة لم يُحدِثْ فيه، وكان يخرج إلى الحِلِّ فيقضي حاجتَه، وما لبس نعلاً في الحرم قطُّ، وكان يزور النبي ﷺ في كل سنة ماشياً، ويزور ابنَ عباس رضي الله عنه في الطائف في كلِّ سنة مرة، يأكل أكلةً بالطائف وأخرى بمكة، وما كان يدَّخر شيئاً، ولم يكن له غيرُ ثوب واحد، وفيه يقول الشاعر: [من الوافر]

أقولُ لمكَّةَ ابتهجي وتيهي ... على الدنيا بهيَّاج الفقيهِ
إمامٌ طلَّق الدنيا ثلاثاً ... فلا طمَعٌ لها من بَعْدُ فيهِ

وكان السبب في وفاته وقوع فتنة بين السنة والشيعة بمكة، فشكا بعضُ الشيعة إلى محمد بن أبي هاشم أميرها، وقال: إن السنة يستطيلون علينا بهياج، فأخذه وضربه ضرباً عظيماً على كِبَر سنِّه، فبقي أياماً ومات، وقد نيَّف على ثمانين سنة، ودُفِنَ إلى جانب الفضيل بن عياض رحمة الله عليه.

السنة الثالثة والسبعون والأربع مئة

فيها كان ملك شاه قد قصد كرمان في السنة الماضية لقتال سلطان شاه بن قاروت بك، فلمَّا وصل إليه رأى أن يطيعه، فخرج إلى خدمته مستأمناً من القلعة، وقبَّلَ الأرض بين يديه، فقام السلطان قائماً وأجلسه إلى جانبه، وتحالفا، وزوَّجه ابنتَه، وعاد السلطان إلى أصبهان.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٩-٢١٠، والأنساب ٤/ ١٧٠. وتنظر بقية مصادر الترجمة في السير ١٨/ ٣٩٣.

وفي المُحرَّم ورد الخبر بوفاة شمس الملك تكين بن طمغاج خان صاحب سمرقند وما وراء النهر، وكانت وفاته بالقولنج، وأوصى إلى أخيه حسن أيتكين بأولاده وأهله بعد أن أجلسه موضعه، وردَّ حسنٌ سمرقند، فأفاض العدل، واستعمل الجميل، وبلَغه أنَّ تكش أخا السلطان قد قطع جيحون، وأنه على قصد بخارى، فسار إليه حسن في ثمانية آلاف من التركمان، فالتقيا بجراورد بين بخارى وترْمِذ، فهُزِمَ تكش، وغَنِم حسنٌ عسكرَه، وقصده من الحانية عمر طُغرُلتكين، فالتقيا، فهرب حسنٌ وغنم ما في عسكره، ودخل سمرقند وقد اشتمل على النصر في الوقعتين، وورد الخبر أن تاج الدولة تُتُش قبض على مسمار أمير بني كلب، وسببه أنَّ تُتُش خرج يوماً يتصيَّد، فرأى قوماً، فاختفوا منهم، فطلبهم وأخذهم وفتَّشهم، فوجد معهم مكاتبات من مصر إليه ومنه إلى مصر، وورد الخبر بأن حصن الدولة ابن منزو كان مقيماً ببانياس، فنقل أمواله إلى صور، وانتقل إليها، فقبض عليه ابنُ أبي عقيل المستولي عليها، وأخذ جميع ما نقله إليها.

وفي ربيع الأول فتح أبو بكر بن نظام الملك قلعة تكريت تسلَّمها من حسام بن المهرباط، وضرب الدنانير باسمه، فأنكر عليه الخليفة، فبطل ذلك.

وفيه وصل الحاجُّ وأميرُهم خطلج أدراز وهم له شاكرون.

قال محمد بن الصابئ: وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الآخر فتح مسلم بن قريش قلعة حلب، ونقل الغلَّات من الموصل إليها، وكتب إلى بغداد بالفتح.

وفي جمادى الأولى تُوفِّي العميد أبو منصور الأصفهاني بالبصرة، وأمر أن يُتصدَّق بألفي دينار مما خلَّفه على آل أبي طالب، وكان رئيساً، نبيلاً فاضلاً، جامعاً للمحاسن ومكارم الأخلاق.

وفي ذي الحجة قُبِضَ ببغداد على ابن الرسولي الخباز وعبد القادر الهاشمي البزاز؛ انتسبوا إلى الفتوة، وكان ابن الرسولي قد صنَّف في الفتوة وفضلها كتاباً، وذكر قوانينها ورسومها، وجعل عبد القادر المتقدِّم على من يدخل في الفتوة، وأن يكونوا تلامذته، وكتب المُقدَّمين مناشر، وأقطعهم أصقاعاً، ولقَّب نفسَه كاتبَ الفتيان، وجعل ذلك طريقاً إلى منفعته ودعوات واجتماعات تعود على مصلحته، وكتب إلى خادم لصاحب مصر بمدينة

النبي ﷺ يُعرف بخالصة الملك ريحان الإسكندراني، قد ندب نفسه لرياسة الفتيان، والكتب صادرة إليه بذلك من جميع البلدان، وجعلوا اجتماعهم بجامع براثا، وكان مسدودَ البابِ مهجوراً، ففتح ابن الرسولي بابَه، ورتب له قيِّماً يُنظِّفه، وعرف أصحاب عبد الصمد ذلك، فأنكروه، وعظَّموا ما يكون منه، وقالوا: إن هؤلاء يدعون لصاحب مصر، ويجعلون دار الفتوة عنواناً لجمع الكلمة على هذا الباطن، فتقدَّم الخليفةُ إلى عميد الدولة بالقبض على ابن الرسولي وعبد القادر، فقبض عليهما، ووجد لابن الرسولي في هذا المعنى كتباً كثيرةً، وآل[1] الخادمَ المقيمَ بالمدينة، فسأله عميد الدولة عن الموافقين له، فسمَّاهم، فقبض على جماعة منهم، وهرب الباقون، وصودر جماعةٌ بسببهم[2].

وكان من جملة الكتاب الذي وضعه ابن الرسولي: الحمد لله القديم فلا يخلقُه دهر، العظيم فلا يلحقه قهر، العليم فلا يخفى عليه سر ولا جهر، الأول فليس لوجوده ابتداء، الآخر فليس لجوده انتهاء، الظاهر بلا مُعينٍ ينصره، الباطن بلا زمانٍ يحصره، أحمده إذ وفقني لحمده، وأشكره شُكرَ مَنْ بذل غاية جهده، وأشهد أن لا إله إلا الله، إرغاماً لمن كفر ونافق، وإدحاضاً لمن نفر وشاقق، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله على حين فترة من الرسل، وختم بملَّته[3] سائر المِلَل، وعصمه من كلِّ زلل، وكان ممن تقدَّمه أشرف وأجلّ، فأيَّده بالرسالة، وعظَّمه بالشرف والجلالة، والحمد لله مُعزِّ الفتيان بالفتوة، وجاعِلها إرثَ الإمامة والنبوة، وجعلها لأهلها أنساباً، وسمَّاهم بها أحباباً، فهي حلاوةٌ يجدها العارفون، ويقِفُ عندها الراغبون، ويرغب فيها مَنْ عرف معانيها، وتسمو إلى مراتبها نفسُ متعاطيها، ومازالت منذ آدم، ظهرت مع العالم، وقام بحقِّها، فلمَّا انتهت مُدَّته أوصى بها إلى شيث مستحقِّها، ثم انتقلت إلى نوحٍ فصرفها إلى سام، ثم ظهرت في الخليل عليه السلام، فحاز الفضلَ العميم،

(١) آلَهُ: ساسَه. المعجم الوسيط (آل).

(٢) الخبر في المنتظم ١٦/ ٢١١-٢١٢.

(٣) في (خ): وختم به، والمثبت من (ب).

بما نطقَ به الكتابُ القديم: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٧]، ثم ظهر لموسى منها ما بطن، ففوَّض إلى هارون منها أوفى السنن، ثم ظهرت في المسيح الأمين، المبشِّرِ بسيد المرسلين. وذكر كلاماً طويلاً، وتقليده الموافقين له على ذلك الأمر، وذكر أساميهم وأنسابهم وما يتعلَّق بهم في مقدار كُرَّاسَين، فأفتى الفقهاء باستئصالهم، وإلزامهم الرجوع عن ضلالهم، وكفِّهم عن الفساد، وإطغاء العباد،فنُهِبت دورُهم، وحلَّ بهم هلاكُهم وثبورُهم، وكان وافقهم على مثل هذا نيِّفٌ ومئةٌ من الأشراف والأعيان، وزعماء البلدان.

وفيها ملك جلال الملك أبو الحسن بن عمار قاضي طرابلس حصن جبلة، وسببه أن الفردوس صاحب أنطاكية وجبلة قبض على قاضي جبلة، فراسله ابنُ عمار فيه، فأفرج عنه، وأنفذه إليه، فسأل فيه أن يردَّه إلى قضاء جبلة، ففعل، وتحدَّث معه ابنُ عمار في تسليم جبلة، فقال: نعم، ومضى ودبر الحيلة إلى أن تمَّت، فأرسل إلى ابن عمار يقول: ابعَثْ أصحابك في البحر في الليلة الفلانية، فبعث إليه ابن عمار بغلام يلقَّب بعين الزمان، في ثلاث مئة رجل من التركمان، كانوا حصلوا في جند طرابلس وجماعة من البحرانية، فجاؤوا في الليلة التي سمَّاها، فاحتال القاضي على الحرس حتى ناموا وجماعة من البَحْرانية، وفتح لهم الباب فدخلوا، وأقاموا الخطبة للمقتدي وملك شاه.

قال المصنف رحمه الله: ورأيتُ في بعض التواريخ أنَّ الخليفة عزل وزيره عميد الدولة في هذه السنة، واستوزر أبا شجاع محمد بن الحسين الرُّوذراوري، وكان صالحاً عفيفاً، إلَّا أنه كان بخيلاً، فهجاه الموصلي فقال: [من الكامل]

ما استبدلوا ابنَ جهيرَ في ديوانِهمْ ... بأبي شجاعَ لرفعةٍ وجلالِ
لكن رأوهُ أشحَّ أهلِ زمانِهِ ... فاستوزروه لحفظِ بيتِ المالِ

وما وليَ لبني العباس أعفُّ من أبي شجاع ولا أكثرُ صدقات، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفِّي

محمد بن الحسين(١)

ابن عبدالله بن أحمد بن يوسف بن الشّبل(٢)، أبو علي، الشاعر، البغدادي، توفِّي في المُحرَّم، ودُفن بباب حرب، وكان شاعراً مجوداً، ومن شعره: [من الكامل]

لا تُظهِرنَّ لعاذلٍ أو عاذِرٍ … حالَيكَ في السرَّاءِ والضَّرَّاءِ
فلِرَحمةِ المتوجِّعينَ مرارةٌ … في القلب مثلُ شماتةِ الأعداءِ

وقال أيضاً: [من البسيط]

يُفني البخيلُ بجَمْعِ المالِ مُدَّتهُ … وللحوادثِ والأيامِ ما يدَعُ
كدودةِ القَزِّ ما تبنيهِ يهدِمُها … وغيرُها بالذي تَبنيهِ ينتفعُ

وقال أيضاً: [من الوافر]

بربِّكَ أيُّها الفلَكُ المُدارُ … أقَصْدٌ(٣) ذا المسيرُ أم اضطرارُ
مدارُكَ قلْ لنا في أيِّ شيءٍ … ففي أفهامنا عنكَ ابتهارُ
ودنيا كلَّما وضعتْ جنيناً … عراه من نوائبِها طوارُ(٤)
هي العشواءُ ما خَبَطتْ هشيمٌ … هي العمياءُ ما جرحَتْ جُبارُ(٥)
فإنْ يَكُ آدمٌ أشقى بنيهِ … بذنبٍ ما لَهُ منهُ اعتذارُ
فكَمْ من بعد غُفرانٍ وعفوٍ … يُعَيَّرُ ما تلا ليلاً نهارُ
لقد بلغَ العدوُّ بنا مُناهُ … وحلَّ بآدمٍ وَبِنا الصَّغارُ
وتِهْنا ضائعين كقومِ موسى … ولا عِجْلٌ أضلَّ ولا خُوارُ
فيا لكِ أكْلَةً ما زالَ فيها … علينا نقمةٌ وعليهِ عارُ

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢١٣-٢١٤، ومعجم الأدباء ١٠/ ٣٣-٤٥، وفيه: اسمه الحسين بن عبد الله، وطبقات الأطباء ص٣٣٣-٣٤٠، والأنساب ٧/ ٢٨٤. وتنظر بقية مصادر الترجمة في السير ١٨/ ٤٣٠.

(٢) في (ب) والنجوم الزاهرة ٥/ ١١١: الشِّبلي، والمثبت من (خ) وهو الموافق لما في المصادر.

(٣) في الأصلين (خ) و(ب): أقصدك، والمثبت من مصادر الترجمة.

(٤) في معجم الأدباء: غَذَته من نوائبها ظؤارُ.

(٥) الجُبَار: ما لا قوَد فيه.

obeikandi.com

نُعاقَبُ في الظُّهورِ وما وُلِدْنا ... ويُذبَحُ في حشا الأُمِّ الحُوارُ(١)

ونخرجُ كارهينَ كما دخلنا ... خروجَ الضبِّ أخرجَهُ الوَجارُ(٢)

وكانَتْ أنعُماً لو أنَّ كوناً ... يُشاوَرُ قبلَهُ أو يُستشارُ

وما أرضٌ عصَتْهُ ولا سماءٌ ... ففيمَ يغولُ أنجُمَها انكِدارُ

وهذا الشعر يدلُّ على فساد عقيدته.

محمد بن سلطان(٣)

ابن محمد بن حَيُّوس، الأمير، الشاعر، الفصيح، هو أحد الشعراء الشاميين، وفحولتِهم المُجيدين، مدح أعيان الأمراء والأكابر، وله ديوان مشهور، ولد سنة أربع وتسعين وثلاث مئة بدمشق، ومات بها في شعبان وقد جاوز الثمانين، وأنشد له ابن عساكر: [من الطويل]

أسُكَّانُ نَعمانِ الأراكِ تيَقَّنوا ... بأنَّكُمُ في رَبْعِ قلبيَ سُكَّانُ

ودوموا على حفظِ الودادِ فإنَّني ... بُلِيتُ بأحبابٍ إذا حُفِظوا خانوا

سلوا الليلَ عني مُذْ تناءَتْ ديارُكُمْ ... هل اكتَحَلَت بالغَمْضِ لي فيهِ أجفانُ

وهَلْ جرَّدَتْ أسيافُ برق ديارِكُمْ ... فكانتْ لها إلا جفونيَ أجفانُ

السنة الرابعة والسبعون والأربع مئة

فيها في المُحرَّم ورد كتاب رجلٍ ـ يُقال له: ابن وهبان ـ من واسط، يذكر فيه أنَّ امرأةً بنهر الفضل أصابها جُذامٌ فسقط أنفُها وشفتاها وأصابعُ يديها ورجليها، وجافت رائحتها، فأخرجها زوجُها وولدُها إلى ظاهر المحلة، وبَنَوا لها كوخاً تُكِنُّ فيه، وبقيَتْ مدةً فيه لا يقدر أحدٌ من الاجتياز بها من نَتْنِها، فجاء ولدها إليها برغيفين شعير، فقالت له: يا بُنيَّ، قِفْ ـ بالله ـ حتى أُبصِرك، وجِئني بجرعة من ماء أشربها فقد قتلني العطش. فلم يقدرِ الصبيُّ أن يدنوَ منها وهرب، وكان قريباً منها خربةٌ يُجمع فيها ماء الكثبان،

(١) الحُوار: ولد الناقة.

(٢) الوجار: جحر الضب ونحوه.

(٣) تاريخ دمشق ٥٣/ ١١٣ ، وتنظر مصادر الترجمة في السير ١٨/ ٤١٣ .

obeikandl.com